شواهد الشعر الجاهلي في تفسير الجواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبي

الدكتورة شميسة خلوي
قسم اللغة العربية وآدابها - كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية والفنون
جامعة الجزائر٢ – الجزائر
dr.khaloui.alger2@gmail.com

Pre-Islamic Poetry References in Qur'an Interpretation Book 'Al-Jawaher Al-Hissan' by Abdul-Rahman Al-Tha'albi

Dr. Shamisa Khalawi
Department of ArabicLanguage and Literature,College of ArabicLanguage and Literature, Oriental Languages and Arts University of Algiers 2 ,Algeria

الملخص:

يعتبر علم تفسير القرآن من العلوم الشريفة التي لاقت عناية من علمائنا قديما وحديثا، بغية تقريب معاني القرآن الكريم للأفهام، ولكل مفسِّر منهاج يسير عليه في بيانه لكتاب الله عز وجل، إلا أن المتفق عليه هو الاستشهاد بلغة العرب، ولا سيما الشعر إذ لم يكن للعرب قبل الإسلام علم أصحَّ منه.

وإننا نروم في بحثنا الوقوف عند تفسير الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ) المسمى "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" وهو كتاب نفيس سديد المنهج، محاولين تتبع حضور الشاهد الشعري الجاهلي بين سطوره، ولنرى كيف استطاع الثعالبي استحضار عشرات الأبيات الشعرية والاستعانة بها لبيان المسائل النحوية والمعجمية وما تعلَّق بالقراءات.

الكلمات المفتاحية: علم التفسير، عبد الرحمن الثعالبي، الشاهد، الشعر الجاهلي.

Abstract:-

The science of Qur'an interpretation is one of the noble sciences that have gained the attention of past and present scholars in order to facilitate the understanding of the Noble Qur'an's meanings for his readers. Even though every interpreter adopts a specific method to do so, it is agreed upon the use of Arabic language, especially poetry, to explain Qur'anic verses since it is one of the richest and comprehensive linguistic elements known in the pre-Islamic era.

Therefore, this research study is intended to explore the interpretation of Sheikh Abd al-Rahman al-Tha'albi (d.: 875 AH) intitled "Al-Jawaher al-Hassan fi Tafsir Qur'an," as being one of most valuable books written with a methodological approach. We will also try to identify the presence of pre-Islamic poetic references in the book; then, investigate on how al-Tha'alabi was able to evoke dozens of poetic lines and use them to clarify grammatical and lexical issues as well Qur'an's different recitations.

key words: Science of Interpretation; Abdul-Rahman Al-Tha'albi; Reference; Pre-Islamic Poetry.

المقدّمـة:

القرآن الكريم كلام رب العالمين، تنزيل من حكيم حميد، كتاب تكفَّل الله عز وجل بحفظه، فاستوعبته الصدور قبل المصاحف، ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والخطابة جعله الله جل وعلا الحجة البالغة لنبينا محمد ﷺ واختصه بها دون غيره، فأنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين.

ولفهم كلام الله عزّ وجلَّ والمُراد منه، كان لا بد من علم يستوعب هذا الأمر ويحقِّقه، باعتبار كتاب الله المصدر الأوَّل للتشريع الإسلامي والذي يؤطر حياة المسلم في دنياه وآخرته، فكان بذلك ظهور ما يسمى علم التفسير.

والملاحظ أن مِن المفسرين مَن عمد إلى كلام العرب شعره ونثره للاستعانة به على فهم كتاب الله من باب التفسير اللغوي، إلا أن حظ الشعر كان أوفر، ولا سيما الشعر الجاهلي، فصار الاستدلال بالمعنى المراد من اللفظة القرآنية بالشاهد الشعري ميزة لا تخفى في واحد من مصنفات التفسير وإن اختلف المنهج.

والتفسير المعوَّل عليه في هذه الدراسة والذي يعد بمثابة الثابت من عنوان البحث، هو كتاب: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" لعبد الرحمن الثعالبي (ت: ٨٧٥) أحد أفاضل العلماء وأرباب الاجتهاد في الجزائر المحروسة، ونحاول تتبع هذا التفسير لبيان شواهد الشعر الجاهلي في ثناياه.

أولاً: مفهوم علم التفسير:

لقد قيَّظ الله لكتابه علماء يفسرونه، ويبينون المنهج الرباني الصحيح لعامة المسلمين، بدءا مما نُقل إلينا عن رسول الله ﷺ من تفسير لكتاب الله، إلى يوم الناس هذا، حيث لم يتوقف التدوين في علم التفسير عند مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، سواء كان تفسيرا كاملا أو جزئيا، أو اختصارا أو تعليقا على جهود السابقين، مما يدخل جميعه في إطار تفسير كتاب الله على وجه العموم، يقول ابن جُزي (ت:٧٤١): ((معنى التَّفسيرِ: شرحُ القرآنِ، وبيانُ معناه، والإفصاحُ بما يقتضيه بنصِّه أو إشارَتِه أو نجواه))[1]، وهذا من أجمع التعاريف التي تقتضي بيان علم التفسير.

ومعلوم أن قيمة أي علم وأهميته إنما تقاس بأهمية المعلوم، لذلك حاز تفسير كتاب الله الاهتمام البالغ، وليس أدل من قول ابن عطية (ت:٥٤٢) مبينا شرف وأهمية الاشتغال بكتاب الله تفسيرا وشرحا، بقوله: ((فلما أردتُ أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمْتنها حبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنوارا، علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدَّست أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه))[٢]، والتفسير المعوَّل عليه في هذه الدراسة، هو الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ) أحد أفاضل العلماء وأرباب الاجتهاد في الجزائر المحروسة.

ولا ينكر عاقل العلاقة بين كتاب الله واللغة العربية فـ ((إذا كان هناك نص ما، في لغة ما، قد أحدث ثورة دلالية وطفرة مفهومية تحتاج ليحدث بعض من بعضها في مكان ما، وزمان ما، إلى قرون وقرون فهو القرآن العظيم))[٣]، فاللغة والتفسير لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، خصوصا إن علمنا أن العلوم اللازمة للمفسِّر عُدَّت خمسة عشر علما منها: ثمانية من علوم العربية، وهي: اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبديع والقراءات، وقد علَّل السيوطي (ت: ٩١١هـ) ضرورة تمكُّن المفسر من اللغة بقوله: ((بها يُعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع))[٤]، بل إن فهم القرآن بفهم اللغة، ولا يتأتى ذلك دونها، ((فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى طلب فهمه من غير هذه الجهة))[٥]، فذات اللسان الذي نزل به كتاب الله يفهم ويفسر به.

وفي ذلك اعتبر ابن عباس رضي الله عنه أيضا أن اللغة هي أول أوجه التفسير فيما روي عن الثوري وغيره بعد أن قسَّم التفسير إلى أربعة أقسام جاعلا أولها قسم تعرفه العرب في كلامها، بقوله: ((فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك شأن اللغة والإعراب، فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها))[٦]، إذن، من هنا تبدأ العلاقة وثيقة، تلك التي تربط آي القرآن العظيم باللغة العربية، ولا سيما حين نتحدث عن تفسير القرآن الكريم.

وعلى ضوء ما تقدَّم، فإننا نسعى في هذه الدراسة إلى البحث عن شواهد الشعر

الجاهلي في سياق تفسير الثعالبي، بحيث نتتبع هذا التفسير، نترسمه ونعمل فيه النظر بغية الكشف عن مدى استعانة الثعالبي بالشواهد المذكورة في تأليف مصنفه.

ثانياً: ترجمة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي:

هو[٧] عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، يكنى أبا زيد، ويلقب بالثعالبي الجزائري المغربي المالكي، ولد سنة ٧٨٥هـ، وقيل سنة ٧٨٦هـ، بوادي يسِّر على نحو (٨٦) كيلومترا بالجنوب الشرقي من العاصمة الجزائرية.

تلقى مبادئ العلم الأولى على يدي علماء منطقته، ثم توجه لبجاية مستزيدا من العلم، وبعدها إلى تركيا فالحجاز، ليعود بعدها لمصر، ويستقر أخيرا بالجزائر العاصمة مسقط رأسه، حيث انكب على التدريس والتأليف، من جهة أخرى، لم تشر الكتب التي ترجمت للثعالبي إلى تاريخ زواجه، بينما ذكرت أن له من الأولاد ثمانية، أربعة ذكور وأربعة إناث.

وقد تتلمذ على يد الثعالبي كثيرون نذكر منهم: أحمد بن عبد الله الزواوي (ت:٨٨٤هـ) والإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت: ٨٩٥هـ) ومحمد بن مرزوق الكفيف (ت:٩٠١هـ) والعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت: ٩٠٩هـ) وغيرهم.

ولم يزل -رحمه الله- عاكفا على الطاعات متجردا لنشر العلم، إلى أن وافاه أجله صبيحة يوم الجمعة ٢٣ من رمضان ٨٧٥هـ / ١٤٧١م، ودفن بمكان يعرف بجبانة الطلبة، خارج باب الواد بالجزائر العاصمة.

ولعبد الرحمن الثعالبي أزيد من (٩٠) مؤلفا، بين متون وشروح وتعاليق وكتب مستقلة في فنون وعلوم عدة، كالتفسير والفقه والحديث والوعظ والرقائق، وجلها مازال مخطوطا، ففي علوم القرآن له: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وتحفة الأقران في إعراب بعض آي القرآن، والذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز، وفي الفقه ألَّف: روضة الأنوار، وجامع الأمهات في أحكام العبادات.

أما في الحديث فنجد: أربعون حديثا مختارة، والمختار من الجوامع، كما كانت للثعالبي مؤلفات في الرقائق وتهذيب النفس وعلوم الآخرة: هي: الأنوار المضيئة في الجمع بين

الشريعة والحقيقة، والعلوم الفاخرة في أحوال الآخرة، وكتاب النّصائح، وجامع الفوائد، والدر الفائق في الأذكار، والإرشاد في مصالح العباد، وإرشاد السالك، وخصَّ الخصائص النبوية بكتاب في معجزاته ﷺ.

كما للثعالبي فهرس موسوم بغنيمة الواجد وبغية الطالب الماجد، وهو ثبت لطيف ذكر فيه صاحبه مصنفات الحديث التي اتَّصلت به وبعض أسانيدها وأسماء مؤلفاته، ومدار روايته فيه على الحافظ ولي الدين العراقي، إضافة إلى رحلته العلمية التي جعلناها مدونة بحثنا.

وكان للشعر نصيب من تآليف الثعالبي - وإن كانت جلها مخطوطة- مثل ذلك لاميته والتي كان لها صدى طيبا في إفريقيا الغربية، ومطلعها[٨]:

تَمُـــرّ اللَّيـــالِي بِنَفْسِـــي وَمَـــالِي ... فَيَـــا قَـــوْمِ مَـــالِي عَـــنِ المَـــوْتِ مَـــالِي

نَهَـــارِي جِـــدَالٌ وَلَيْلِـــي انْجِـــدَالٌ ... وَحَـــوْلِي رِجَـــالٌ عَلَـــى مِثْـــلِ حَـــالِي

وقد حظي الثعالبي بثناء عطر من قبل أهل العلم، إذ قال عنه السخاوي (ت: ٩٠٢هـ): ((كان إماما علامة مصنفا)) [٩]، وأثنى عليه التنبكتي (ت: ١٠٣٦هـ) بقوله: ((الشيخ الإمام الحجة العالم العامل الزاهد الورع ولي اللَّه الناصح الصالح العارف باللَّه أبو زيد الشهير بالثعالبي، صاحب التصانيف المفيدة، كان من أولياء اللَّه المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد اللَّه الصالحين)) [١٠].

والمستفاد مما قدمناه حول حياة الرجل ومصنفاته العلمية هو أنه راسخ القدم في كثير من العلوم، طويل الباع واسع الاطلاع، وتنوع تصانيفه تدل على ذلك.

ثالثاً: نبذة عن الجواهر الحسان في تفسير القرآن:

إن مدونة بحثنا الموسومة بالجواهر الحسان في تفسير القرآن[١١] كتاب تفسير للقرآن الكريم، يقع في (٠٥) أجزاء، حقَّق أصوله على أربع نسخ وعلق عليه وخرج أحاديثه الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه عبد الفتاح أبو سنة.

وقد قال الثعالبي واصفا تفسيره ضمن حديثه عن مؤلفاته: ((فمن أعمِّها نفعا وأعظمها

بركة كتابنا المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن وقد رأيت له بحمد الله عجائب وبركات وبشارات متواليات))[١٢] ولقي هذا التفسير القبول من أهل العلم، القدامى منهم والمحدثين، فأثنوا عليه وعلى كاتبه، وكان مما قيل فيه: ((وأما تآليفه فكثيرة كتفسيره الجواهر الحسان في غاية الحسن))[١٣]، وكذلك: ((إن الكتاب مفيد، جامع لخلاصات كتب مفيدة، وليس فيه ما في غيره من الحشو المُخِل، والاستطراد المُمِل))[١٤]،

ومما أنشده الفضلاء احتفاء بهذا التفسير وصاحبه قولهم [١٥]:

يَـــا قَـــارِئَ القُـــرآن يَبْغِـــي تَفَهُّمَـــا ... خَـــزِّن لآلِـــي سَـــيِّد الفُضَـــلاء

جَـــوَاهِر جَـــاءَتْ مِـــنْ إمَـــام مُحَصِّـــل ... جَـــزَاهُ إلـــه الخَلْـــقِ خَيْـــرَ جَـــزَاء

يَـــا زَيـــدَ الحـــبر الـــوليّ إمَامنـــا ... وملجأنـــا فِي شِـــدَّةٌ وَرَخَـــاء

فَحُـقَّ لَهَـا يـا صَـاح تُـدعى جَـواهِرا ... وَجَامعهـــا مـــن ســـادةُ العُلَمَـــاء

رابعاً: الشاهد الشعري في تفسير الجواهر الحسان:

لقد رجع المفسرون إلى لغة العرب لبيان معاني القرآن الكريم باعتبارها أهم مصدر من مصادر التفسير بالرأي وأوسعها ((والمفسرون يشترطون في تلك اللغة التي يفسر بها القرآن الاستفاضة والشهرة لأن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب وغير جائز توجيه شـيء منـه إلى الشـاذ مـن لغاتهـا ولـه في الأفصـح الأشـهر معنـى مفهـوم ووجـه معروف))[١٦]، وكثيرا ما لجأ المفسرون إلى الاستدلال على المعاني بالشاهد الشعري، وهو عند أهل العربية ((الذي يستشهد به في إثبات صحة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب لكونه من شعر العرب الموثوق بعربيتهم))[١٧]، والثقة هنا لازمة لكون المفسَّر هو كلام الله وما يستدعيه ذلك من حرص.

ومما ساد عند العلماء وخصوصا أهل النحو منهم ألفاظا تنطبق على معنى الشاهد على شاكلة الاحتجاج والتمثيل، وقد لجأ العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو وغيرها ((وكانوا يستشهدون على ذلك بأشعار الطبقتين من الجاهليين والمخضرمين))[١٨]، لما لهما من موثوقية نظرا لبعدهما عن العصور المتقدمة.

وإن للشاهد أهمية بالغة في التفسير، وكان هذا شأن الكثير من العلماء القدامى، إذ عدَّ الشاهد حجة المعجمي والنحوي والمؤول... وخصوصا الشاهد الشعري باعتبار ((الشواهد تنزع من الشّعر، ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول صلّى الله عليه وسلّم شاهد))[١٩].

فهذا (الأزهري) في تهذيب اللغة يقول: ((وقد دعاني إلى ما جمعتُ في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها، واستقصيتُ في تتبُّع ما حصَّلت منها، والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها، التي احتجَّ بهَا أهل المعرفة المؤتمنون عليها))[٢٠].

وإذا ما رمنا البحث عن الشواهد التي استعان بها علماء العربية احتجاجا بها لوجدنا الكثير منها، فقد ثبت أن عدد شواهد الشعر في كتاب سيبويه -على وجه التمثيل لا الحصر- قد بلغ (١٠٥٦) شاهدا[٢١]، مما يدل على أصالة هذا المنهج المُعين على بسط المعنى مهما كان صنفه.

١. شعراء العصر الجاهلي المستشهد بهم في الجواهر الحسان:

كان نصيب الشعر الجاهلي معتبرا ضمن مجموع الاستشهادات الشعرية التي استعان بها الثعالبي في تفسيره، وقد قمنا بعملية إحصائية أسفرت عن وجود (١٣٨) استشهادا بتوظيف (٢٥٧) بيتا شعريا، من عصور مختلفة.

وبما أننا ركزنا في بحثنا على الشاهد الشعري من العصر الجاهلي، فإننا عددنا هذه الشواهد في الجواهر وقد بلغت (٤١) استشهادا، ولو اعتمدنا على معيار طبقات الفحول من الشعراء والتمسنا في ذلك تقسيم ابن سلام الجمحي لوجدنا استشهادات الثعالبي تضمنت عددا من شعراء العصر الجاهلي ممثلا في الجدول التالي:

الشاعر	عدد الاستشهادات	الطبقة (حسب تصنيف الجمحي)
امرؤ القيس	٠٣	الأولى
النابغة الذبياني	٠٢	الأولى
زهير بن أبي سلمى	٠٦	الأولى
الأعشى	٠٤	الأولى

الحطيئة	٠١	الثانية
كعب بن زهير	٠١	الثانية
أبو ذؤيب الهذلي	٠٤	الثالثة
لبيد بن ربيعة	٠١	الثالثة
طرفة بن العبد	٠٣	الرابعة
عبيد بن الأبرص	٠١	الرابعة
عدي بن زيد	٠٤	الرابعة
عمرو بن كلثوم	٠١	السادسة
حسان بن ثابت	٠٥	شعراء المدينة
عبد الله بن رواحة	٠١	شعراء المدينة
متمم بن نويرة	٠١	شعراء المراثي
الخنساء	٠٣	شعراء المراثي

جدول (٠١): يشير إلى عدد الاستشهادات من الشعر الجاهلي في تفسير الثعالبي والطبقات التي ينتمي إليها الشعراء الذين نظموها.

فنرى إذن كيف نوَّع الثعالبي من الأبيات الشعرية لمختلف فحول الشعر الجاهلي والمخضرمين، كما نلفيه يعتمد أحيانا على شاعر واحد في مواضع مختلفة، وأحيانا أخرى كان ينتقي الشاهد الواحد لشاعر معين دون الاحتجاج بشعره مرة أخرى.

٢ـ أنواع شواهد الشعر الجاهلي في تفسير الجواهر الحسان:

تعدَّدت أنواع الشواهد الشعرية التي استعان بها (عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره، والذي يهمنا هو الشواهد التي ينتمي قائلوها إلى العصر الجاهلي وفي ذلك ألفينا ثلاث فئات، شواهد نحوية وشواهد القراءات وشواهد معجمية.

أ. الشواهد النحوية:

في هذا الباب من المدارسة سنوضح كيف استدل المفسر بالشعر الجاهلي لبيان أغراض نحوية، باعتبار الشاهد النحوي هو كل بيت استشهد به في بيان قاعدة نحوية أو توضيح

وبيان مسألة نحوية على وجه العموم، أو ما تعلق بها كشواهد الأسماء وشواهد الأفعال وشواهد الحروف وشواهد تتعلق بتركيب الجملة وشواهد التصريف.

ففي تفسيره للآية ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (يوسف: ٨٥) استعان الثعالبي ببيت شعري لامرئ القيس للدلالة على قاعدة نحوية تخص (لا)، إذ يقول: ((المعنى: تالله لا تفتأ فتحذف (لا) في هذا الموضع من القَسم لدلالة الكلام عليها فمن ذلك قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِداً ... وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي))[٢٢]

وفي موضع آخر من الجواهر الحسان استدل المفسر ببيت للأعشى كاستشهاد نحوي، إذ قال: ((قرأ الجمهور: (أَنِ الحَمْدُ للَّه)، وهي عند سيبويه (أن) المخفَّفة من الثقيلة قال أبو الفتح: فهي بمنزلة قول الأعشى: (البسيط):

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا ... أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يحفى وينتعل))[٢٣]

ب. شواهد القراءات:

يعد علم القراءات من أوثق العلوم صلة بكتاب الله تعالى ثم إنه سند لكثير من استنباطات الفقهاء، فباختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام، وعلم القراءات من العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى ((لأن رواياتها هي أوثق الشواهد على ما كانت عليه ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية بعامة))[٢٤]، وعليه كان الاهتمام بتوضيحها في تفسير الثعالبي ببسط ما يؤيدها من الأشعار حاضرا على مدار الأجزاء كلها.

يقول الثعالبي: ((قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ﴾ مخاطبة لجميع النَّاسِ، يجمع الآباءَ والأمهات، أي: لهم اتخاذُ الظِّئْر، مع الاتفاقِ على ذلك، وأما قوله: إذا سَلَّمْتُمْ، فمخاطبةٌ للرجال خاصَّة إلا عَلَى أحد التأويلَيْن في قراءة مَنْ قرأ: (أُوتِيتُمْ)، وقرأ السِّتَّة من السبعة: (آتَيْتُمْ) بالمدِّ بمعنى أَعْطَيْتم، وقرأ ابن كثير: (أَتَيْتُمْ) بمعنى: فعلتم كما قال زُهير: (الطويل).

وَمَـا كَـانَ مِـنْ خَيْـرٍ أَتَـوْهُ فَإِنَّمَـا تَوَارَثَـهُ آبَـاءُ آبَـائِهِمْ قَبْـلُ))[٢٥]

وأثناء تفسيره للآية: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: ٤٦) يستشهد الثعالبي في التفسير ببيت للخنساء فيقول: ((قالت الخَنْسَاءُ تصفُ ناقَةً ذَهَبَ عنْها ولَدُها: (البسيط)

تَرْتَـعُ مَـا رَتَعَـتْ حَتَّـى إِذَا ادكـرت فَإِنَّمَـا هِـيَ إِقْبَـالٌ وَإِدْبَـارُ

أي: ذاتُ إِقبالٍ وإِدبارٍ ويبيِّن هذا قراءةُ الكسَائِيِّ ((إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ))))[٢٦].

ج. الشواهد المعجمية:

تضم هذه الشواهد الشعرية كل ما له علاقة باستعمال لفظة ما وما يهمنا هو ما تعلق بالمفردات القرآنية معنى وشرحا أو لبيان أصلها الاشتقاقي أو تطورها الدلالي، ونورد نماذج لبيان الغرض المذكور.

فأثناء تفسير (الثعالبي) لقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ (غافر: ٢٧) قال: ((والدين: السلطانُ ومنه قولُ زُهَيْرٍ: (البسيط).

لَـئِنْ حَلَلْـتَ بِجَـوٍّ فِي بَنِـي أَسَـدٍ فِي دِينِ عَمْـرٍو وَحَالَـتْ بَيْنَنَـا فَـدَكُ))[٢٧]

وفي موضع آخر من التفسير ورد: ((وقوله سبحانه: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾: معناه: شدَّدتم، وعَقْدُ اليمينِ كَعَقْدِ الحبل والعهد قال الحطيئة: (البسيط).

قَـوْمٌ إِذَا عَقَـدُوا عَقْـداً لِجَـارِهِمُ شَـدُّوا الْعِنَـاجَ وَشَـدُّوا فَوْقَـهُ الْكَرَبَـا))[٢٨]

كما يستشهد المفسر ببيت لـ(كعب بن زهير) في معرض تفسيره للآية (النجم: ٥٧) فيقول: ((وقوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ معناه: قربت القريبة، والآزفة: عبارة عن القيامة بإجماعٍ من المفسرين، وأَزِفَ معناه قَرُبَ جداً قال كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ: (البسيط).

بَـانَ الشَّـبَابُ وَآهَـا الشَّـيْب قَـدْ أَزِفَـا ولا أرى لشـباب ذاهـب خلفـا))[٢٩]

ونشير في خضم الحديث عن شواهد الشعر الجاهلي في (الجواهر الحسان)، أن الثعالبي لم ينسب كل الأبيات إلى قائليها، فكثيرة هي العبارات التي استعان بها لعرض الشاهد

الشعري دون عزو فعلي لقائله الأصلي، وقد انسحبت هذه الخاصية على مختلف الشعراء بتنوع العصور، بما في ذلك الشعر الجاهلي، وقد بلغ عدد الاستشهادات المنسوبة إلى قائليها (٦٢) استشهادا، بينما تم رصد (٧٦) استشهادا مجهول القائل، وهذا الأمر لا يسقط الاحتجاج بالأبيات.

ومن العبارات التي تبسط الشاهد دون ذكر صاحبه قول المفسِّر: (لله در القائل، قول بعضهم، قول القائل، كقول الشاعر)، وغيرها، ونمثل لهذه الظاهرة بما يلي -مما تعلق بالشعر الجاهلي-: يقول (الثعالبي): ((ومنه قولُ الشاعر: (الطويل)

على حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... فَقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ))[٣٠]

والبيت (للنابغة الذبياني)[٣١] التي يمدح فيها (النعمان) ويعتذر إليه.

وورد في التفسير أيضا قول (الثعالبي):((ومنه قول الآخر: (البسيط) تَاللَّهِ يبقى عَلَى الأَيَّامِ ذُو حيد...))[٣٢]، وشطر البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وورد كاملا في عدة مصادر على النحو التالي:

تَاللَّهِ يبقى عَلَى الأَيَّامِ ذُو حيد ... بمشمخرّ به الظيّان والآس[٣٣]

الخاتمة:

وأخيرا نلخص ما وصلنا إليه في هذا البحث عبر النقاط المختصرة التالية:

- لقد تتبع الثعالبي منحى من سبقوه من المفسرين وذلك بتوظيف الشواهد الشعرية لمختلف العصور ولا سيما العصر الجاهلي، وهذه الميزة لا تخفى في واحد من مصنفات التفسير وإن اختلف المنهج.
- لقد بلغت مجمل الاستشهادات الشعرية في تفسير الجواهر الحسان بأجزائه الخمسة (١٣٨) استشهادا ضم (٢٥٧) بيتا شعريا، منها (٢٩) استشهادا لشعراء من العصر الجاهلي.
- اعتبر الشاهد الشعري دليلا معتبرا استند إليه الثعالبي لبيان مسائل نحوية ومعجمية وأخرى تتعلق بالقراءات.

- احتل الشاعر زهير بن أبي سلمى الصدارة مقارنة ببقية الشعراء المستشهد بهم من العصر الجاهلي.
- اعتمد الثعالبي في استشهاداته على شعراء الطبقة الأولى من طبقات فحول الشعراء على وجه الخصوص.
- بعض شواهد الشعر الجاهلي الواردة في التفسير معزوة لقائليها، وبعضها الآخر لم تنسب لأصحابها نظرا لشهرة الشاهد وتداوله.
- بعض الشواهد اقتصر فيها المفسِّر على بيت واحد، بينما تعدَّت بعض الاستشهادات البيت والبيتين من الشعر.
- كان نصيب الشعر النسوي الجاهلي منحصرا في استشهادات شعرية للخنساء فقط.

هوامش البحث

(١) ابن جزي الكلبي(ت:٧٤١)، التسهيل لعلوم التَّنْزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٥.

(٢) ابن عطية المحاربي (ت: ٥٤١هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٣٤.

(٣) الشاهد بن محمد البوشيخي، نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المُعرَّفة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، ١٤٢١هـ، ٣٦٠.

(٤) جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٢١٣/٤.

(٥) إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ١٠٢/٢.

(٦) ابن عطية المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، م. س، ٣٤.

(٧) ممن ترجموا للثعالبي على سبيل التمثيل لا الحصر: شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (ت: ٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٥٢/٤، وأبو العباس التنبكتي (ت: ١٠٣٦هـ)،

نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠م، ٢٥٧-٢٥٨، ومحمد بن محمد مخلوف (ت: ١٣٦٠هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٣٨٢/١، وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٢م، ٧٣٣/٢-٧٣٤، وخير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، مايو، ٢٠٠٢م، ٣٣١/٣، إسماعيل البغدادي (ت: ١٩٢٠هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٥٣٢/١، وأبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف،، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، ١٣٣٤هـ/ ١٩٠٦م، ٦٣/١، وعبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الوطنية الجزائرية، ومنشورات دار مكتبة دار الحياة، ط٢، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ٢٨٠/٢-٢٨٥، وعادل نويهض، معجم أعلام الجزائر -من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر-، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٩٠.

(٨) آدم عبد الله الإلوري، الفواكه الساقطة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، مصر،:٠٢.

(٩) شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، م.س، ١٥٢/٤.

(١٠) أبو العباس التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، م.س، ٢٥٧-٢٥٨.

(١١) ينظر: عبد الرحمن الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٢) عبد الرحمن الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد (فهرسة مرويات ومؤلفات عبد الرحمن الثعالبي) تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ٢٦.

(١٣) أبو العباس التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، م.س، ٢٥٩.

(١٤) محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٧٩/١.

(١٥) عبد الرحمن الثعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، م.س، ٢٧.

(١٦) عبد الرحمن بن معاضة الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٠٥.

(١٧) عبد الرحمن بن معاضة الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، م.س، ٦١.

(١٨) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار ابن حزم، ط٢، ٢٢٩.

(١٩) أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، الصناعتين، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٣١.

(٢٠) أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ٠٧/١.

(٢١) خالد عبد الكريم جمعة، شواهد الشعر في كتاب سيبويه، الدار الشرقية، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ١٧٣.

(٢٢) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، م.س، ٣٤٧/٣.

(٢٣) المصدر السابق، ٢٣٩/٣.

(٢٤) عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، ٠٧

(٢٥) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، م.س، ٤٧١/١.

(٢٦) المصدر السابق، ٢٨٦/٣.

(٢٧) نفسه، ١١٢/٥.

(٢٨) نفسه، ٤١٤/٢.

(٢٩) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، م.ن، ٣٣٣/٥.

(٣٠) المرجع السابق، ٨٨/١.

(٣١) النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٥٣.

(٣٢) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، م.س، ٣٤٧/٣.

(٣٣) ابن منظور، لسان العرب ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ٤٢٩/٤.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤٠هـ)، التسهيل لعلوم التَّنْزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ.

- ابن عطية المحاربي (ت: ٥٤١هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

- ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ.

- أبو العباس التنبكتي (ت: ١٠٣٦هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠م.

- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر.

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

-أبو صفوان ذياب الغامدي، الوَجازة في الإثبات والإجازة، دار قرطبة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢١.

- أبو عبد الله بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، الديوان (الجوهر النفيس في شعر الإمام ابن إدريس) إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر.

-أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، الصناعتين، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

- آدم عبد الله الإلوري، الفواكه الساقطة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، مصر.

- إسماعيل البغدادي (ت: ١٩٢٠هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الشاهد بن محمد البوشيخي، نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المُعرَّفة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، ١٤٢١هـ.

- العربي ايشبودان، مدينة الجزائر، تاريخ عاصمة، ترجمة: جناح مسعود، مراجعة: حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧م.

- النابغة الذبياني (١٨ ق.هـ)، الديوان، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- خالد عبد الكريم جمعة، شواهد الشعر في كتاب سيبويه، الدار الشرقية، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، مايو، ٢٠٠٢م.

- شمس الدين السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

-شمس الدين بن مفلح المقدسي (ت: ٧٦٣هـ)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، اياد بن عبد اللطيف القيسي، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.

- صلاح الدين الشامي، الرحلة على الجغرافيا المبصرة، ط٢، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر -من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- عبد الجبار حلواني، الشواهد والاستشهاد في النحو، مطبعة الزهراء، بغداد.

- عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م.

- عبد الرحمن الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- ـــــ، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد (فهرسة مرويات ومؤلفات عبد الرحمن الثعالبي) ويليه رحلة عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

-عبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الوطنية الجزائرية، ومنشورات دار مكتبة دار الحياة بيروت، ط٢، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

- محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧.

- محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- محمد بن محمد مخلوف (ت: ١٣٦٠هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علّق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار ابن حزم، ط٢.

qouran.language2021@gmail.com
Haady.altememy@gmail.com